العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر

يقول الدكتور الشيخ القرضاوي-رحمه الله تعالى- :

ما الرأي في إنسان عينته هيئة أو مؤسسة لأداء وظيفة محددة، يتقاضى منها راتبه، ويكون مسئولاً عنها، ولكنه لم يؤد حق الوظيفة عليه، فتخلف عن العمل أيامًا كاملة أو ساعات من أيام، وهو قادر مختار ليس بمريض ولا مقهور ؟.

قد يختلف أعضاء لجنة الرأي في مثل هذا الموظف:

-فيرى بعضهم أنه أخلّ بالتزاماته الجوهرية نحو عمله، فلا عقوبة له إلا فصله وحرمانه من الوظيفة.

-ويرى آخرون أن يُجازي بعقوبة أخرى غير الفصل ما دام غير مستخف بالعمل ولا مستهزئ به.

وهذا المثل يوضح لنا موقف أئمة الإسلام في المسلم الذي ترك العبادات عمدًا وبخاصة الصلوات المفروضة اليومية.

-فيرى بعضهم أن الوظيفة الأولى للمسلم، بل للإنسان في الحياة، هي عبادة الله وحده، وتركها يعد إخلالاً بعمل المسلم الجوهري، فلهذا لا يستحق هذا اسم الإسلام، ولا الانضواء تحت لوائه . ويؤيد هذا الرأي ما جاء في الحديث الصحيح " بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ". (رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد).

ويقول ﷺ : " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر . (رواه أحمد وأصحاب السنن).

-ويرى آخرون أنه إذا لم يكن منكرًا ولا مستخفًا بفرائض الإسلام، وكان مقرًا بتقصيره، نادمًا عليه، توّاقًا إلى التوبة، فهذا يظل في زمرة المسلمين محكومًا له بالإسلام.

حكم ترك الصلاة:

يقول الدكتور الشيخ القرضاوي-رحمه الله تعالى- : **ذلك أن تارك الصلاة أحد رجلين :**

1 – إما أن يتركها إنكارًا لوجوبها، أو استخفافًا بها، واستهزاء بحرمتها فهذا كافر مرتد بإجماع المسلمين.

لأن وجوب الصلاة ومنزلتها في الإسلام معلوم من هذا الدين بالضرورة، فكل منكر لها، أو مستخف بها يكون مكذبًا لله ولرسوله، وليس في قلبه من الإيمان حبة خردل . وهو مثل الكفار الذين وصفهم الله بقوله :

(وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هُزُوًا ولعبًا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون). (المائدة: 58).

ومن هنا نعرف منزلة الذين يعتبرون الصلاة والعبادة من مظاهر التأخر والرجعية، ويسخرون من الذين يقيمون الصلاة.

2 – وإما أن يتركها كسلاً، وانشغالاً بالدنيا، واتباعًا للهوى، ووسوسة الشيطان فهذا قد اختلف فيه العلماء: هل هو كافر أم فاسق ؟ وإذا كان فاسقًا فهل يستحق القتل أم يكفي التعزيز بالضرب والحبس ؟.

فالإمام أبو حنيفة يقول: هذا فاسق بترك الصلاة، ويجب أن يؤدب ويعزر بأن يضرب ضربًا شديدًا حتى يسيل منه الدم، ويحبس حتى يصلي . ومثله تارك صوم رمضان.

وقال الإمامان مالك والشافعي: هو فاسق وليس بكافر، ولكن لا يكفي جلده وحبسه وإنما عقوبته قتله إذا أصر على ترك الصلاة.

وقال الإمام أحمد – في أشهر الروايات عنه -: هذا التارك للصلاة كافر مارق من الدين . وليس له عقوبة إلا القتل فيجب أن يطلب منه التوبة إلى الله والرجوع إلى الإسلام بأداء الصلاة فإن أجاب فيها وإلا ضربت عنقه.

والواقع أن ظواهر النصوص من الكتاب والسنة تؤيد هذا المذهب الذي قال به إمام السنة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهما.

فالقرآن يجعل ترك الصلاة من خصائص الكفار (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) (المرسلات: 48) وقال في وصفهم يوم القيامة :

(يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون). (القلم: 43).

ولا يستحق عصمة الدم وأخوة المسلمين في نظر القرآن إلا من تاب من الشرك وأقام الصلاة، وآتي الزكاة، قال تعالى في شأن المشركين المقاتلين:

(فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم) (التوبة: 5) وقال بعد ذلك: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين). (التوبة: 11).

ويحدثنا القرآن عن صورة من صور الآخرة . حيث الكفرة المجرمون في نار سقر، والمؤمنون من أصحاب اليمين يسألونهم: (ما سلككم في سقر؟) أي ما الذي أدخلكم هذه النار ؟.

(قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين). (المدثر: 42).

فكان أول مظهر من مظاهر كفرهم وإجرامهم أنهم لم يكونوا من المصلين.

الأدلة من القرآن على كفر تارك الصلاة:

الدَّلِيلُ عَلَى كُفْرِ تَارِكِ الصَّلاةِ من القرآن الكريم:

-قال تَعَالَى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)[التوبة].

-وقَالَ تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾[التوبة].

-وقال تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[المدثر].

-وقال تعالى: (فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوفَ يَلقَونَ غَيًّا)[مريم].

-وقال تعالى: (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)[الماعون]..

الأدلة من السنة على كفر تارك الصلاة:

إذا رجعنا إلى السنة وجدنا الأحاديث النبوية تؤكد كفر تارك الصلاة.

-عن جابر أن النبي ﷺ قال: " بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة " رواه مسلم.

-وعن بريدة أن النبي ﷺ قال: " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " رواه الخمسة وصححه النسائي والحافظ العراقي.

-وجاء عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: " لا تترك الصلاة متعمدًا فإن من ترك الصلاة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله " رواه الطبراني في الأوسط بإسناد، قال المنذري: لا بأس بع في المتابعات.

-وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لا يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَيِّ بن خلف " رواه أحمد قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

يقول ابن القيم رحمة الله: " من شغله عن الصلاة ملكه حشر مع فرعون، ومن شغله عنها ماله حشر مع قارون، ومن شغله عن الصلاة جاهه حشر مع هامان، ومن شغله عنها تجارته حشر مع أبي بن خلف .

فإذا كان من لم يحافظ على الصلاة يحشر مع هؤلاء الكفرة العتاة – وهم أشد أهل النار عذابًا فما بالكم بمن تركها كليًا وعاش عمره لم يركع لله ركعة ولا سجد له سجدة ؟.

وقال ﷺ: " من ترك صلاة العصر حبط عمله ". (رواه أحمد والبخاري والنسائي عن بريدة).

فإذا كان ترك صلاة واحدة يحبط العمل فيكف بمن ترك الصلوات كلها ؟.

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ هم أن يحرق على قوم بيوتهم لأنهم يتخلفون عن الجماعات (الحديث في الصحيحين) فكيف بمن لا يصلي أصلاً؟.

وأخبر القرآن عن المنافقين انهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، فكيف بمن لا ينهض إلى الصلاة أبدًا، لا نشيطًا ولا كسلان ؟.

هذه هي نصوص القرآن والسنة في شأن تارك الصلاة.

حكم تارك الصلاة عند الصحابة:

ولهذا لم يخالف أحد من الصحابة في تكفير من تركها متعمدًا واعتباره خارجًا من دين الإسلام.

روى الترمذي – وصححه – عن عبد الله بن شقيق العقيلي رضي الله عنه قال :

" كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة " وعبارة الراوي تشعر أن الصحابة رضي الله عنه كانوا متفقين على هذا الرأي . ولهذا لم ينسبه إلى واحد معين منهم.

وهذا ما رواه أهل العلم وأصحاب الأثر عن الصحابة والتابعين وفقهاء الحديث.

فعن عليّ كرّم الله وجهه قال: من لم يصل فهو كافر.

وعن ابن عباس: من ترك الصلاة فقد كفر.

وعن ابن مسعود: من ترك الصلاة فلا دين له.

وعن جابر بن عبد الله: من لم يصل فهو كافر.

وعن أبي الدرداء: لا إيمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له.

وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه عن " الصلاة ": سمعت إسحق – يعني ابن راهويه يقول: صح عن النبي ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها – كافر.

وعن أيوب السختياني قال: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه.

قال الحافظ المنذري بعد أن أورد هذه الآثار والأحوال: قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمدًا لتركها حتى يخرج جميع وقتها منهم: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس . ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وأبو الدرداء: رضي الله عنه ومن غير الصحابة: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، والنخعي، والحكم بن عتيبة، وأيوب السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب وغيرهم . رحمهم الله تعالى ". (الترغيب والترهيب ج 1 كتاب الصلاة فصل الترهيب من ترك الصلاة تعمدًا).

هذا ما نقله الأئمة الحفاظ عن الصحابة ومن بعدهم في تكفير من ترك صلاة واحدة متعمدًا حتى يخرج جميع وقتها، فكيف يكون رأيهم فيمن سلخ من عمره سنين تطول أو تقصر ولم يحن جبهته لله ساجدًا في يوم من الأيام ؟.

هذا هو تارك الصلاة.

فإما أنه كافر إذا تركها منكرًا لها أو مستخفًا بوجوبها.

وإذا لم يكن منكرًا ولا مستخفًا فهو بين أن يكون كافرًا مرتدًا كما هو ظاهر الأحاديث، وظاهر ما أفتى به الصحابة ومن بعدهم، وأن يكون فاسقًا بعيدًا عن الله.

فأخف الآراء فيه أنه فاسق يخشى عليه الكفر . فمما لا ريب فيه أن الذنوب يجر بعضهما إلى بعض، فالصغائر تجرّ إلى الكبائر، والكبائر تجرّ إلى الكفر.

ولهذا يجب على كل من ينتسب إلى الإسلام أن يراجع نفسه، ويتوب إلى ربه، ويصحح دينه، ويصمم على إقامة الصلاة.

كما يجب على المتدينين أن يقاطعوا كل تارك للصلاة، مصرّ على تركها، بعد أن يسدوا إليه النصيحة، ويأمروه بالمعروف، وينهوه عن المنكر.

قال الإمام ابن تيمية في تارك الصلاة: لا ينبغي السلام عليه، ولا إجابة دعوته.

وكذلك لا يجوز للأب أن يزوج ابنته من تارك للصلاة لأنه في الحقيقة ليس بمسلم وليس أهلاً لها . ولا أمينًا عليها، ولا على أولادها.

ولا يجوز لصاحب المؤسسة أن يوظف تارك الصلاة لأنه يعينه برزق الله على معصية الله، ومن ضيع حق الله الذي خلقه وسواه فهو لحقوق عباده أكثر تضييعًا وإهمالاً.

ومن هنا تتضح مسئولية المجتمع عن هذه الفريضة التي هي عماد الدين، والتي لم يجعل الله لأحد عذرًا في تركها، إلا أن يكون مريضًا مرضًا أفقده وعيه بحيث لا يفهم الخطاب وما دون ذلك من الأمراض لا تسقط به الصلاة ولو كان قعيدًا، أو مشلولاً، أو مثخنًا بالجراح.

فالشرع يقول للمريض: تطهر كيف استطعت، وصل كيف استطعت ولا تترك الصلاة، تطهر بالماء فإن لم تجد فتيمم صعيدًا طيبًا . صل قائمًا فإن لم تستطع فصل قاعدًا فإن لم تستطع فصل مضطجعًا على جنبك، أو مستلقيًا على ظهرك، مشيرًا برأسك، أو مومئًا بحاجبيك كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم). (التغابن: 16).

المجتمع مسئول إذا عن إقامة هذه الفريضة، وبخاصة كل ذي سلطان في سلطانه: كالأب مع أولاده الصغار، والزوج مع زوجته قال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك، والعاقبة للتقوى) (طه: 132) وقال عليه الصلاة والسلام: " مُروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر " (رواه أحمد وأبو داود والحاكم بإسناد حسن) . وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة). (التحريم: 6).

فإذا كان الزوج حريصًا على زوجته، محبًا لها، وإذا كان الأب حريصًا على أولاده، محبًا لهم، فليحمهم من النار، وليأمرهم بطاعة الله تعالى، وأولها الصلاة. (انتهى).

الحل العملي لمشكلة ترك الصلاة:

يقول الدكتور محمد منصور:

علَّمنا الإسلام أنَّ أول وسيلةٍ لعلاج أيِّ داءٍ هي تشخيصه، ثمَّ الصدق في حبِّ الشفاء منه، فإن كان عند المسلم الصدق في طلب العلاج، فعليه اتِّخاذ الأسباب التي تُعينه، والتي بمجرَّد أن يتَّخذها، فسيحدث تغييرٌ إن شاء الله تعالى، كما قال تعالى: "إنَّ الله لا يُغيِّر ما بقومٍ حتَّى يُغَيِّروا ما بأنفسهم".

وأسباب العلاج نوعان:

الأوَّل: تقدير حجم المشكلة.

الثاني: الخطوات العمليَّة للعلاج.

النوع الأوَّل: تقدير حجم المشكلة: من خلال:

1 – العلم بحجم الثواب الذي يفوتك يوميًا:

فأداء الصلاة في أوَّل وقتها أحبُّ عملٍ إلى الله تعالى على وجه الأرض، وإذا أحبَّ الله عملاً أجزل له الثواب؛ فلعلَّ ذلك يكون حافزاً على الالتزام بها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قلت: ثمَّ ماذا؟ قال: "برُّ الوالدين"، قلت: ثمَّ ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"رواه البخاريُّ ومسلم ، والأحاديث في ذلك كثيرة جدا.

ثمَّ إنَّ الصلاة فترةٌ للاتِّصال بالخالق لطلب عونه ورزقه.

2 – العلم بذنب التكاسل عنها:

فالخوف يدفع إلى العمل لاجتناب الأضرار، قال تعالى: "فويلٌ للمصلِّين، الذين هم عن صلاتهم ساهون"، فهم لا يتركون الصلاة، بل يؤدُّونها، ولكن بتهاونٍ أو عندما يتذكَّرون، فالويل والذنب لهم؛ فما بالك بمن لا يؤديها أصلا ولو بعص الصلوات، كما قال ﷺ : (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) و (من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر ـ فقد ـ أهله وماله)؟!

الثاني: الخطوات العمليَّة للعلاج:

1 – الاستعانة بالله ودعاؤه بالتنشيط والتغلب على وساوس الشيطان:

قال تعالى: "وقال ربُّكم ادعونِي أستجب لكم"، وقال: "قل أعوذ بربِّ الناس، مَلِك الناس، إله الناس، من شرِّ الوسواس الخنَّاس"، فالشيطان يخنس، أي يتراجع بذكر الله تعالى ذكرا فيه حضور قلبٍ ويقينٌ بقدرة الله على التغيير.

والدعاء لابدَّ وأن يكون بإخلاص، أي بإرادةٍ حقيقيَّةٍ في الشفاء؛ إذ الإخلاص سببٌ رئيسيٌّ للتوفيق، كما نبَّهنا لذلك سبحانه عند الإصلاح بين الزوجين المتخاصمين: "إنْ يريدا إصلاحاً يوفِّقِ الله بينهما.

2 – التدريب على قوَّة الإرادة والصبر:

ويكون هذا ببعض الأعمال التي تعين على ذلك، كالصوم مثلا؛ فقد وصفه الرسول ﷺ لمن عجز من الشباب عن الزواج ليعصمه من الخطأ، فقال: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجاء"رواه الخمسة، الباءة: أعباء الزواج، وِجاء: أي ضابطٌ للشهوة.

أعلم أنَّ ذلك يحتاج جهداً في أوَّل الأمر، لكنَّه –كأيِّ شيءٍ يتمَّ التدريب عليه- يسهل ويصبح عادةً بالتدريج.

3 – التدريب على القيام أوَّل الوقت:

وهذا يتحقَّق من خلال ضبط الساعة أو الاتِّفاق مع زميلٍ أو جارٍ على تذكرتك، أو المرور عليك؛ لأخذك للصلاة عند سماع الأذان، منعاً للانشغال عنها أو التكاسل، أيُّ وسيلةٍ توصل لذلك قومي بها، المهمُّ أن نصل للنتيجة.

4 – التواجد ما أمكن في وسطٍ صالح:

وهذا من شأنه أن يعين على الطاعة، ويبعد عن المعصية، قال ﷺ: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل"رواه الترمذيّ، وقال:.

5 – الحرص على معاملات الإسلام ما أمكن:

فإن كان الشيطان يغلب المسلم أحيانا في الصلاة؛ فلا يغلبه مثلاً في إتقان عمله وتقوى الله فيه، والمواظبة على مواعيده، والوفاء بالوعود والأمانات مع الناس، وخدمتهم وعونهم ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، فإن حرص على هذه المعاملات الإسلاميَّة سيكون ذلك بإذن الله حافزاً على محاولة استكمال بقيَّة جوانب الخير في نفسه، خاصَّةً الصلاة، وسيأتي عليه يومٌ يواظب عليها، ويعين غيره ممَّن لا يصلُّون بوسائل العلاج التي اتَّخذها سابقا، وسيكون نِعْم الداعي إلى الإسلام.

أيها المسلم :

مجرَّد إحساسك بالمشكلة هو حلٌّ لها، أو لنقل هو أوَّل خطوات الحلّ، فعرفتَ أنتَ الخطوة الأولى، وأوضحنا نحن الخطوةَ الثانية، وبقي أن تبذل وسعك لتحقِّق الخطوة الثالثة والأخيرة. (انتهى).

فاتقي الله ، واحذر أن تكون ممن : (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات .....) وقل : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء). آمين.